اضواء على مباحثات كامب ديفيد

الأستاذ الدكتور / محمود حلمى مصطفى

لم تكن مباحثات «كامب ديفيد» وما أسفرت عنها من وثيقتى إطار السلام فى الشرق الأوسط ووضع أسس اتفاق إقرار السلام بين مصر وإسرائيل وما أعقب ذلك من رسائل متبادلة بين الرؤساء محمد أنور السادات وجيمى كارتر ومناحم بيجن — لم تكن فى حقيقة الأمر وواقعه سوى حلقة فى سلسلة حرب الاستنزاف التى انتهجتها مصر منذ عدوان ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ومبادرة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ورحلة الرئيس نيكسون ومبادرته لإقامه صرح السلام فى منطقة الشرق الأوسط وقيام القوات المصرية الباسلة بهجوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وما صاحبه من نجاح القوات المصرية فى عبور قناة السويس واجتياح خط بارليف ببسالة منقطعة النظير وماأبداه سلاح الدبابات المصرى من تفوق أثناء اشتباكه مع سلاح دبابات إسرائيل فى أعنف معركه شهدها تاريخنا المعاصر من حيث إنه قوض نظرية الحدود الآمنة والتفوق الإسرائيلى وهدمها رأسا على عقب على حد تعبير المراسلين الحربيين من الأجانب وترتب على هذا كله إحداث تغيير جوهرى فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية من حيث تبنيها لإسرائيل وتزويدها بكافة أنواع الأسلحة المتطورة للمحافظة على توازن القوى فى منطقة الشرق الأوسط .

ولم يكن توازن القوى فى مفهوم السياسة الأمريكية سوى تفوق إسرائيل على كافة دول المنطقة وتتبع سلسلة تلك الحلقات تقتضى أن نلقى ضوءا على مفهوم وأهداف حرب الاستنزاف .

مفهوم واهداف حرب الاستنزاف :

وحرب الاستنزاف فى مفهومها العسكرى هى تلك الصورة من الصراع المسلح الإيجابى الذى يدور بين خصمين أو عدة خصوم لايستطيع أحدهم أوبعضهم مؤقتا ولأسباب مرحلية أن يستخدم قواته الرئيسية الضاربة لحسم الموقف لصالحه فى مسرح الحرب بل يفضل حصر مجال نشاطه الحربى فى شن أعمال عسكرية متعددة وإن كانت محدودة الهدف ممتدة المدى والزمن تشكل فى مجموعها عبئا على العدو ويعنى ذلك أن حرب الاستنزاف يجب أن تشتمل على أنشطة عسكرية تدار بغرض إنهاك الخصم بشريا واقتصاديا وعضويا كما يجب أن تهدف إلى اكتساب الخبرة الميدانية وإتمام الاستعداد لمواجهة تكون أشد حسما فى المستقبل .

على أن حرب الاستنزاف هذه تنطوى على أهداف تفصيلية غير تلك الأهداف العامة حيث انها ترمى إلى إنزال أكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية بالعدو والنيل من معنوياته وتوفير أفضل الظروف الممكنة لبناء جيش متمرس على الحرب بهدف انتزاع النصر فى المواجهه الحتميه التاليه

أما بناء الجيش المتمرس على القتال فلايكون إلا فى لهيب المعركة وفى مجال الواقع باعتبار ذلك أفضل الطرق لحشد القوى المسلحة وخلق القائد المحنك والمقاتل الكفء ولقد كان لحرب السنوات الثلاث دورها البارز فى خلق المقاتل العربى الحديد . فالجندى العربى الذى عاد من معركه ١٩٦٧ ليقضى على الخرافات الشائعة عن أهوال جيش العدو الذى لايقهر وجنوده الذين يتطاير الشرر من أعينهم أصبح يستسهل عمليات العبور إلى الضفة الشرقية حتى صارت مجرد مسألة روتينية وفاق عدد المتطوعين للعبور — قبل كل عملية — العدد المطلوب اشتراكه فيها والسبب باختصار هو أن الجندى العربى قد أتيحت له ولأول مرة منذ معارك سنة ١٩٤٨ فرصة متكافئة فى الاشتباك مع العدو وأصبح يرى جنود الأعداء يجفلون من رؤيته ويفرون حتى قبل أن يقتحم عليهم تحصيناتهم ويرى دماءهم تسيل من هول ضرباته وتتناثر أرواحهم فرقا عن أجسادهم . فاكتشف المقاتل العربى نفسه وعادت ثقته فى قدرته فتلهف على قتال العدو وكأنه فى مباراة رياضية يعلم مسبقا انه المنتصر فيها بعون الله وتأييده. وإلى جانب هذا الأثر المعنوى هناك أثر لايقل

خطورة عنه وهو مايتصل بالمفاهيم العسكرية وبتطوير السلاح وباختبار قدرة القادة وتلك أمور كان لها أثرها الفعال بلا جدال فى حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة .

مراحل حرب الاستنزاف :

وبمجرد أن قرر العرب فى مؤتمرقمة الخرطوم وضع استراتيجية قومية شاملة لمعركة التحرير استطاعوا أن يعبروا إلى مراحل مابعد الهزيمة مراحلة الصمود وأن يدخلوا ثانية المراحل—مرحلة الردع—فى طريقهم إلى مرحلة التحرير . ولقد مرت ثانية هذه المراحل وهى التى تجسدت فى حرب الاستنزاف بعدة فترات زمنية كانت لكل منها ظروفها فى ضوء المواقف المتطورة باستمرار تحت ضغط المعارك العسكرية .

وتبدأ المرحلة الأولى من ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦٨ حتى ١٩ إبريل ١٩٦٩ بتراشق المدفعية عبر قناة السويس بمجرد أن استعادت قيادتنا بناء قواتنا الدفاعية وكانت بمثابة أول إعلان إيجابى جاد وحقيقى عن التصميم العربى على رفض الهزيمه.وكانت بداية التراشق مفاجأة تامه للقوات الأسرائيليه.ولقد وصفها زئيف شيف أبرز المعلقين العسكريين الأسرائيلين بقوله فى الساعه ١٧,١٤٠ بينما كانت الشمس فى ظهر المصريين تبهر أبصار رجال المدفعية الإسرائيلية بدأت المدافع المصرية ضرب مراكزنا وهبط الظلام بسرعة وبذلك ضمن المصريون عدم تدخل الطائرات الإسرائيلية — واستمرت عملية القصف حتى الغد ولمدة يومين متواليين خلال هذا الأسبوع وتمتد المرحلة الثانية من ١٩ أبريل حتى ٤ يونيو ١٩٦٩ وهى الفترة التى بدأت بأول عملية عبور مصرية محدودة إلى الضفة الشرقية واحتلال موقع إسرائيلى لمدة ساعات ورفع العلم المصرى عليه مرفرفا ايعلن أن مصر على الدرب تسير وأنه لامناص للعدو من أن ينتحر أو يعود مرغما من حيث أتى ومنذ ذلك التاريخ أصبحت عمليات العبور تسير جنبا إلى جنب مع عمليات القصف المدفعى .

وتتسم المرحلة الثالثة التى تبدأ من ٥ يونيو سنة ١٩٦٩ حتى ١٩ يوليو سنة ١٩٦٩ بتزايد حدة تصعيد العمل الحربى على الجبهة المصرية حيث اتخذ شكل الإغارات البرية القوية بمجموعات قتال كبيرة راحت تتزايد حجما حتى وصلت إلى مستوى الكتيبه الكامله وتزايدت مهامها القتاليه ومدتها حتى وصلت إلى مستوى اليوم الكامل بها ولعدة أيام متتالية بينما اعترفت إسرائيل خلال المرحلة الرابعة التى امتدت من ٢٠ يوليو سنة ١٩٦٩ حتى ٦ يناير سنة ١٩٧٠ بقدرة الجيش المصرى وشجاعته وتضحيات أبطاله وذلك لمـــا أصابها من خسائر فادحه الأمر الذى اضطر القيادة السياسية العسكرية الاسرائيلية إلى إصدار أوامرها لسلاح طيرانها بالاشتراك فى المعارك حينما رأت تطور حرب الاستنزاف وأصبحت تنبىء بمعدل سريع فى تزايد القدرات العسكريه المصريه التى سوف تنتهى دون ريب باستكمال البناء إلى عمليه عبور شامل وحين شعرت أيضاً بأن حجم الخسائر الاسرائيلية وبخاصة البشرية منها فى تزايد مستمر ويذكر زئيف شيف أن السبب المباشر الذى أنهى الجدل فى القيادة الإسرائيلية حول إدخال سلاح الجوفى المعركة هو عملية العبور التى قامت بها وحدة مصرية فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٦٩ فى منطقة بورتوفيق ويستطرد شيف قائلا وكان ذلك هو أبرز نجاح حققه المصريون ومن الواضح أنه سوف يحفزهم على بذل نشاط آخر وكان لابد من إيقافهم بسرعة واستمرت خسائرنا تتصاعد .

ولعل أهم ما يميز المرحلة الخامسة التى تبدأ من ٧ يناير سنة ١٩٧٠ إلى ١٣ أبريل سنة ١٩٧٠ تصعيد خسيس ووضيع فى الهدف السياسى الإسرائيلى وفى نوعية الأهداف المنتقاة عسكريا ومدنيا فقصفت مصنع أبى زعبل ومدرسة أطفال فى بحر البقر ومعسكرات دهشور وأنشاص والتل الكبير والخانكة وهاكستب على أن الهدف الأساسى كان إسقاط نظام الحكم فى مصر بالإضافة إلى بث اليأس فى نفسية الشعب المصرى لعله يكفر باستمرار الحرب واحتمالات التحرير وكانت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل قد أعلنت صراحة فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٩ أنها لا ترى هناك فرصة للسلام ما دام عبد الناصر فى الحكم وفى فبراير سنة ١٩٧٠ أكدت

مائير من جديد أن الهدف السياسى الاستراتيجى لإسرائيل هو إسقاط جمال عبد الناصر عسى أن يكون هناك من هو أكثر استعدادا للتفاوض من عبد الناصر فلا بد أن أى إنسان غيره سوف يكون مختلفا عنه .

ويحلل عاموس بيرلتز أستاذ العلوم السياسية الإسرائيلى بجامعة هارفارد الأمريكية هذا التطور فى الهدف السياسى الاستراتيجى بقوله ان العدو كان ومازال (ناصر) وانتهى إلى تحديد الهدف السياسى الاستراتيجى فى هذه المرحلة بقوله إن الإمكانات المتاحة لمصر موجهة نحو مجهود مركز لتحقيق أعز القيم السياسية لدى عبد الناصر وهى ضرب إسرائيل، إن واجبنا المقدس الآن هو تشجيع قيام نظام حكم آخر فى مصر ولنجعل هذا محور استراتيجيتنا العليا فنخصص كل المفاوضات وكل سياستنا تجاه الدول العربية والأجنبية وتجاه فلسطين والأمم المتحدة وكل ميزانيتنا العسكرية وكل جهودنا لخلق صورة عنا وعن أعدائنا فى العالم كل ذلك يجب توجيهه من أجل زعزعة الثقة فى النظام المصرى، بصفة أنه النظام الوحيد القادر على أن يهيء لنفسه أحسن الفرص لمواجهتنا . علينا الآن أن نحقق ما لم نحققه عام ١٩٦٧ لأن (ناصر) الزعيم الوحيد الموثوق فيه لدى العرب والشرق والغرب على السواء وخلال هذه الفترة استطاعت القوات المصرية على الرغم من التفوق الجوى الإسرائيلى أن تستمر فى عمليات نشطة وتوغلت القوات الجوية المصرية إلى منطقة العريش كما أغرقت سفينتى تموين فى ميناء إيلات .

وإلى جانب هذا كله فقد أعلنت إسرائيل عن إفلاسها العسكرى خلال المرحلة السادسة والأخيرة من حرب الاستنزاف هذه التى امتدت من ١٣ أبريل ١٩٧٠ حتى ٧ أغسطس ١٩٧٠ ولم تستطع ردع مصر أو النيل منها وذلك بوقف غارات العمق الإسرائيلى وهى مرغمة وانتهت بوقف إطلاق النار على جبهة قناة السويس. ولقد جاء قرار إسرائيل بوقف غارات العمق اضطرارا تحت ضغط المفاجأة الاستراتيجية المتطورة التى حققتها مصر بإدخال بطاريات صواريخ الدفاع الجوى سام ٣ إلى العمق المصرى لإحكام الدفاع عنها . ولعل أهم ما يميز هذه المرحلة أنها شهدت فى شهورها الأخيرة حربا الكترونية من الدرجة الأولى واستمرت التطورات التى أدخلت على الأسلحة المستخدمة من الجانبين خلال المعارك العديدة بين

سلاح الجو الإسرائيلى وقوات الدفاع الجوى المصرية ولعل الأثر الأكبر لتلك المرحلة تقديم مستر روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة وقتئذ مبادرته فى ٢٤ يونيو ١٩٧٠ وذلك تحت ضغط الواقع فى مسرح الحرب بعد أيام قليلة من بلوغ العمليات المصرية ذروتها فى أسبوع تساقط الطائرات الإسرائيلية من الفانتوم وسكاى هوك وأسر بعض الطيارين الإسرائيلين.

ولأول مرة منذ بدء حرب الاستنزاف بدأنا نقرأ فى الصحافة الإسرائيلية لقد أصبحت المبادرة الأمريكية وسيلة خلاص — إن سياستنا خلال السنوات الثلاث السابقة لم تكن بمثابة إنجازات جيدة بل سلسلة من الأخطاء الصعبة التى أدت بنا إلى نتائج خطيرة للغاية منها دخول السوفيت إلى المنطقة وظهور المنظمات الفدائية الإيجابية كما تجاوزت ميزانية الدفاع نحو المليار دولار وفقدنا أصدقاءنا وإذا كان الأمر كذلك فليس صحيحا أن المصريين قد استنزفوا فى حرب الاستنزاف ولذلك استجبنا للمبادرة الأمريكية .

ولقد اعتبرت السجلات العسكرية الإسرائيلية حرب الاستنزاف هذه رابع الجولات مع العرب وحرب رمضان الخامسة .

إن غاية النظرية العسكرية المصرية هى توريط إسرائيل فى حرب نشطة طويلة المدى تتضمن أشكالا متنوعة من الصراع المسلح تعلو فوق مستوى الحرب الباردة وتهبط عن مستوى الحرب الشاملة وتتدرج فى الشدة والمهاودة بين هذه وتلك تبعا للفرص السانحة والظروف السائدة فى المسرح هذا فضلا عن أنها اضطرت إسرائيل إلى الاحتفاظ بنسبة مرتفعة من التعبئة العامة لجيشها لفترة طويلة نسبيا الأمر الذى ترك آثاره السيئة على الناحية الاقتصادية والمعنوية فى المجتمع الإسرائيلى على نحو لم يسبق له مثيل .

وسرعان ما جاءت أحداث الساعات الأولى من يوم ٦ أكتوبر سنة١٩٧٣ لتغير مجرى التاريخ لا بالنسبة لمصر بل بالنسبة للشرق الأوسط كله على حد تعبير هارولد سييف مراسل الديلى تلجراف لتقلب الميزان الاستراتيجى فى الشرق الأوسط رأسا على عقب من حيث إنه صار فى صالح العرب وذلك على حد تعبير توماس تشيتهام مراسل وكالة س.ب.أ فى تل أبيب وعلى هذا الأساس فليس بمستغرب أن تسارع الولايات المتحدة الأمريكية بحكم التزامها الأدبى بضمان أمن وسلامة اسرائيل ذلك الالتزام الذى يمثل خطأ استراتيجيا رئيسيا فى السياسة الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط بتخصيص ٢٢٠٠ مليون دولار لتوفير الدعم العسكرى لإسرائيل دون انتظار موافقة الكونجرس الأمريكى كما سارع نيكسون بفتح مستودعات الأسلحة الأمريكية الحديثة فى مختلف أنحاء العالم لتتدفق منها الأسلحة والمعدات فى شكل جسر جوى وبحرى غزير يصب فى إسرائيل مستخدما أراضى وسماء عدد من الدول دون انتظار الإذن منها وفى ذات الوقت أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية عددا كبيرا من المتطوعين على الأجهزة الالكترونية المعقدة التى وصلت اسرائيل وغيرها والتى يصعب تحديد حجمها ونوعها حتى اليوم وإن استقر الرأى بلا جدال على أنها كانت فعالة وأنها ساهمت بقدر كبير فى استعادة القوات الإسرائيلية المسلحة لتوازنها ولكثير من قدراتها المفقودة(١) .

وفضلا على ذلك فقد أذهلت هذه الحرب العدو وحطمت الأساطير التى كانت تروجها أبواق اسرائيل من حيث ان جيشها لايقهر ونظرية الأمن القومى ومن حيث تهاوى ثقة إسرائيل فى نفسها وتفوقها التكنولوجى على العرب(٢) وعلى حد قول « اريك سيلفر » مراسل الجارديان البريطانية كانت الصدمة الحقيقية لحرب يوم الغفران هى أن الجيش الإسرائيلى قد بدأ فى مظهره على نحو لايختلف عن سائر الأنشطة فى إسرائيل حيث كان الجيش بعيدا عن الاتفاق فى تصرفاته وكان مرتجلا وقد دهمته الأمور وهوفى إغفاءة تنم عن تكاسل ورضا(٣) هذا فضلا عن أن الجولة

الرابعة أسفرت عن نتائج تؤكد أهمية الانتصارات التى حققتها القوات العربية فى المعركة والتى أنهت الشعور بالتفوق الإسرائيلى وجيشها الذى لايقهر (٤) حيث أمسكت عملية العبور هذه بالقيادة الإسرائيلية وهى عارية(٥) وثمة حقيقة جوهرية ينبغى الإشارة إليها أن هذه الحرب أسفرت عن حقيقة لامراء فيها وهى أن العرب أصبحوا فى الوقت الحاضر فى مركز تفاوض أقوى بكثير مما كانوا عليه منذ أسبوع مضى وأن إسرائيل قد أصبحت فى مركز أسوأ بكثير مما كان العرب أو أى أحد يعتقده ممكنا قبل بداية الحرب(٦) فضلا عن أنها جعلت العصر الذى كانت الدبابات والطائرات تسود فيه ميدان القتال يذهب فى ذمة التاريخ(٧) .

وهكذا أجبر الواقع إسرائيل على أن تتخلص من الفكرة القائلة بأن أمنها يمكن حمايته بسياسة تقوم على مجرد الاحتفاظ بالأرض دون برنامج سياسى وراءها(٨) كما تحتم عليها أن تتخلى عن خرافة الأمن المطلق عن احتلال الأرض مع الاعتراف بأن الأمن العسكرى المطلق للدولة مايعنى عدم الأمن المطلق للدول المجاورة لها .

وأدرك الإسرائيليون كذلك أن أمنهم لايمكن أن يتحقق بمجرد الاحتفاظ بالسيطرة العسكرية بعد أن أصبحت هالة دولتهم التى لاتقهر موضع تساؤل.

لقد كان للمتغيرات الدولية التى سادت العالم منذ السبعينات من هذا القرن من حيث الانفتاح الدولى والتقارب الأمريكى الصينى والأمريكى السوفيتى أكبر الأثر فى إحداث تغييرات فى أسلوب السياسة الخارجية الأمريكية دون إحداث تغيير فى جوهر هذه السياسة وكان مبعث هذا التغيير الظاهر فى أسلوب السياسة الخارجية الأمريكية متمشيا مع متطلبات المرحلة الجديدة التى ترتبت على أحداث ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وما أحدثته هذه الحرب من تغيير مجرى التاريخ فى منطقة الشرق الأوسط لعل من أبرزها استخدام العرب سلاح البترول كعنصر مساند لحرب أكتوبر . وجاءت هذه الخطوة الحاسمة فى شكل إعلان من جانب وزراء البترول

العرب صدر يوم ١٧ من أكتوبر ١٩٧٣ بتخفيض إنتاج البترول بنسبة ٥ ٪ كل شهر إلى أن تنسحب إسرائيل من الأراضى العربية وتعود حقوق شعب فلسطين وازداد تأثير هذا القرار فاعلية وعمقا عندما أعلنت الدول العربية المنتجة للبترول تباعا فيما بين ١٨—٢١ من أكتوبر ١٩٧٣ قراراتها بوقف تصدير البترول إلى الولايات المتحدة الأمريكية والدول المؤيدة لإسرائيل وكان لهذا أثره على أزمة الطاقة والأزمة النقدية والأزمة الناجمة عن الهوة المتزايدة بين أسعار المواد الخام الاستخراجية التى تصدرها الدول النامية وبين أسعار المنتجات المصطنعة التى تنتجها الدول المتطورة كان لهذا كله أثره على المصالح الأمريكية وكان هذا بدوره حافزا على أن تعيد الولايات المتحدة الأمريكية النظر فى سياستها القائمة على الانحياز لطرف واحد من النزاع وأن تبحث عن سبل تعيد توزيع ركائزها على المنطقة .

على أن التقارب الأمريكى من الأهداف العربية كان يستهدف تغليب أمريكا لمصالحها الخاصة غير المتطابقة مع أطماع إسرائيل على مصلحتها فى أن تنحاز كلية إلى جانبها . ولقد برزت هذه المصالح الأمريكية الخاصة التى لاتنسجم مع أطماع إسرائيل بعد أن أثبت العرب قدرتهم على التأثير فى أزمة الطاقة والأزمة النقدية وأزمة المواد الخام وهذه أزمات تجتاح العالم الرأسمالى وتمس المصالح الأمريكية مباشرة باعتبار أنها من أكبر الدول المحتكرة للبترول وعلى هذا الأساس فقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية مصلحة فى التعجيل بتسوية أزمة الشرق الأوسط بعد أن أثبت العرب قدرتهم على استخدام أداة البترول لصالحهم هذا فضلا عن خوف الولايات المتحدة الأمريكية من أن تؤدى أزمة الشرق الأوسط إلى تفاقم أزمة البترول فى منطقة تعتبر بمثابة أهم مستودع عالمى .

وعلى هذا الأساس فقد رأت الدبلوماسية الأمريكية أن يكون الإنجاز العسكرى العربى عاملا تشجيعيا لمبادرات عربية أكثر جسارة على الصعيد الدبلوماسى تيسر فرص التوصل إلى تسوية وفى ذات الوقت لم تشجع هذه الدبلوماسية الأمريكية نصرا عسكريا يتاح للاسرائيليين إحرازه كما قاومت

فى ذات الوقت أية هزيمة تتكبدها إسرائيل يكون من شأنها إحداث مضاعفات فى أى من الحالتين تعوق استعدادهم لتقبل التسوية وهذا هو جوهر الدبلوماسية التى اقتنعت بها الولايات المتحدة الأمريكية بعد اندلاع الحرب فعلا .

ومن هنا كان منطلق المساعدات الأمريكية وفتح مخازن الأسلحة الأمريكية الحديثة فى مختلف أنحاء العالم لتتدفق منها الأسلحة والمعدات فى شكل جسر جوى وبحرى غزير ليصب فى إسرائيل عندئذ بدأت تتحرك الدوائر السياسية الأمريكية وعاونت على إصدار قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ بوقف إطلاق النيران فى الشرق الأوسط وتضمن هذا القرار :

١ ــ مطالبة جميع الأطراف المشتركة فى القتال الدائر بوقف إطلاق النيران وإنهاء جميع الأنشطة العسكرية فورا وليس متأخرا عن ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار فى كافة المواقع التى يحتلونها

٢ ــ دعوة الأطراف المعنية للبدء فورا بعد وقف إطلاق النيران فى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بجميع أجزائه .

٣ ــ البدء فورا مع وقف إطلاق النيران بعقد المفاوضات بين الأطراف المعنية وتحت إشراف مناسب بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط ثم أعقب ذلك صدور قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ فى ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ وذلك بسبب انتهاك إسرائيل لقرار مجلس الأمن السابق وطالب هذا القرار الأخير إسرائيل بالالتزام بوقف إطلاق النيران الكامل فورا وبانسحاب الأطراف المعنية إلى المواقع التى كانت تحتلها فى الساعة السابعة إلاعشر دقائق بتوقيت جرينتش يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣.

رأت الولايات المتحدة الأمريكية وقتئذ أن تلقى بكل ثقلها لإيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط بعد أن أضيرت مصالحها الاقتصادية خصوصا

وأن اللجنة الاقتصادية بمجلس الكونجرس كانت قد أعدت دراسة وذلك منذ شهر سبتمبر ١٩٧٣ أى قبل حرب أكتوبر بأيام حذرت فيها الولايات المتحدة الأمريكية من مغبة نقص الوقود فى مختلف أنحاء البلاد وأن البلاد مقبلة على أزمة اقتصادية لامثيل لها وذلك إذا صاحب انخفاض واردات البترول المتوقع جـــو من البرودة الشديدة وتوقع السناتور الديمقراطى هيوبرت همفرى رئيس اللجنة نقص الوقـــود فى بعض مناطق الولايات المتحدة مالم تفرض الحـــكومة الأمريكية برنامجا إجباريا لتوزيع الوقود بنظام الحصص .

رأت حكومة الرئيس ريتشارد نيكسون أن تتخذ موقفا حاسما لإيجاد تسوية دائمة لمشكلة الشرق الأوسط وأعلن الرئيس نيكسون « أن مشكلة الشرق الأوسط أعقد المشاكل وأضخم من الانفتاح على الصين وأعقد من فيتنام وأصعب من الحوار بين موسكو وواشنطون ولكن لابد من حلها لأن الحضارة البشرية بدأت من هذه المنطقة وعلينا أن نواجه التحدى الأكبر ونثبت قدرتنا . . واستطرد قائلا — على إسرائيل أن تختار بين الطريق الأسهل الذى ينطوى على مخاطر كبيرة والطريق الأصعب وهو الأفضل وأكد أن مواصلة الحرب ليس هو الحل لبقاء إسرائيل .

انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة إيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط وبذل مستر هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية جهودا مضنية وشاقة وصبرا فى سبيل العمل على الفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية فى كل من الجبهتين الغربية ومنطقة الجولان وأحرز نجاحا كبيرا وآزره فى ذلك الرئيس نيكسون الذى كان يحدوه الأمل الكبير لتحقيق ذلك بغية إنقاذ سمعته التى لطختها فضيحة «ووترجيت» ورددت وكالات الأنباء بعد أن أحرزت جهود مستر كيسنجر نجاحا فى الفصل بين القوات المتحاربة :

«إن أزمة الشرق الأوسط فوت من مركز نيكسون ولم يعد هناك احتمال لعزلة بواسطة الكونجرس أو أى اتهام يمكن توجيهه إليه فى الوقت الحاضر .

لم يكن معنى انتهاج سياسة إيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط من جانب الولايات المتحدة أن — تتخلى الولايات المتحدة الأمريكية نهائياً عن إسرائيل التى تعتبر بمثابة امتداد عضوى للولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط ولنفوذها فى هذه المنطقة وذلك لحماية مصالحها واحتكاراتها البترولية النامية فى المنطقة وإنما كان الهدف من انتهاج هذه السياسة رأب الصدع فى العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية ويكشف عن هذه الحقيقة ما جاء على لسان جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل قبل مغادرتها واشنطن أثناء زيارتها خلال شهر «نوفمبر ١٩٧٣» أمريكا لم تضغط على إسرائيل ولقد أصغى نيكسون إلى جيدا كما يفعل دائما كما أصغيت فى إمعان شديد لكل ما أراد أن يقوله وقد رحلت من واشنطن وأنا أدرك أن الصداقة بين أمريكا وإسرائيل ما زالت كما هى وقد اجتمعت بمئات من الزعماء اليهود فى كل أنحاء أمريكا وكان من المؤثر أن أرى مدى القلق الذى ساور الجالية اليهودية حيال اسرائيل واتفاقهم مع وجهات نظرنا .

ولعل ما يدعم وجهة نظرنا هذه ما جاء بالبيان المشترك لمحادثات نيكسون فى تل أبيب أثر زيارته لجمهورية مصر العربية بعد أن أعلن فى جمهورية مصر العربية بيان مبادئ العلاقات والتعاون حيث جاء ببيان محادثات نيكسون فى « تل أبيب » أكـــد الرئيس نيكسون للمسئولـــين الاسرائيليين أن المعونة العسكرية والاقتصادية الأمريكية لإسرائيل فى المستقبل ستكون على أساس طويل الأمد وتضمن هذا البيان التعاون الذرى حيث تعهدت أمريكا بتزويد إسرائيل بمفاعلات نووية لتوليد الطاقة الكهربائية وتوفير التكنولوجيا النووية والوقود النووى من الولايات المتحدة وذلك بمقتضى ضمانات متفق عليها لمنع تحويلها إلى استخدامات عسكرية كما أكد نيكسون

الاستمرار والطبيعة طويلة الأمد لعلاقة الإمداد العسكرية بين الدولتين وردد وجهة نظره بأن دعم مقدرة إسرائيل للدفاع عن نفسها ضرورة للحيلولة دون حدوث مزيد من الحرب وللمحافظة على أوضاع تؤدى إلى تحقيق تقدم نحو السلام وأكد كذلك ضرورة المساعدات القوية من أمريكا للتنمية فى إسرائيل وتعهد الرئيس نيكسون بأن تواصل الولايات المتحدة وفقا لتفويض الكونجرس تزويد إسرائيل بمساعدات اقتصادية كبيرة تكفى لتعويض النفقات الإضافية الباهظة المترتبة على استمرار إمداد إسرائيل من البترول والمواد الخام كما تضمن البيان المذكور نداء موجها من الرئيس نيكسون إلى البلاد العربية لتكف عن تشجيع الإرهاب الفلسطينى ضد إسرائيل .

وأضاف النداء قائلا « يجب على كل دولة الامتناع عن تنظيم وتشجيع إنشاء قوات غير نظامية أو عصابات مسلحة تضم مرتزقة للاغارة على أراضى دولة أخرى واختتم البيان : بأن الحكومتين الأمريكية والإسرائيلية تتعهدان بالعمل على اقرار السلام فى المنطقة عن طريق المفاوضات التى نص عليها قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ .

لقد كان الباعث على صدور هذا البيان المشترك على تلك الصورة تبديد مخاوف إسرائيل من الاتفاق النووى الذى عقدته الولايات المتحدة مع مصر ويكشف عن هذه الحقيقة ما جاء على لسان هنرى كسينجر أثناء مؤتمر صحفى عقده فى تل أبيب أثناء زيارة نيكسون تل أبيب خلال شهر يونيو ١٩٧٤ حيث جاء به « أن أمريكا مازالت مصممة على ضمان التوازن العسكرى الضرورى لكفالة أمن إسرائيل وأن الهدف الأول الأساسى لمبادرة السلام الأمريكية ولرحلة الرئيس نيكسون هو إفهام إسرائيل أن أمنها على المدى الطويل سيكون مكفولا بشكل أفضل عن طريق المفاوضات » .

ومهما يكن من أمر سواء أكان ما جاء بالبيان المشترك لمحادثات نيكسون بتل أبيب أثر زيارته بالقاهرة لتهدئة روع وتبديد وساوس ومخاوف إسرائيل

فلا جدال في أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد عقدت العزم على زيادة التفاهم المتبادل ودعم العلاقات والتعاون بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية حيث أكد بيان مبادئ العلاقات والتعاون الصادر اثر زيارة الرئيس نيكسون للقاهرة خلال شهر يونيو ١٩٧٤. نظرا لإدراكهما — مصر والولايات المتحدة الامريكية — لعميق الحاجة المستمرة لبناء صرح للسلام في العالم وتحقيقا لهذه الغاية ومن أجل السعي لإقامة سلام عادل ودائم في الشرق وإذ — يهتديان برغبتهما إلى اغتنام الفرصة التاريخية المتاحة أمامهما لدعم العلاقات بين بلديهما على أوسع قاعدة بما يسهم في رخاء المنطقة ككل ولا يكون موجها ضد أي من دولها أو شعوبها أو ضد أي دولة أخرى فقد استقر رأيهما على إقامة علاقاتهما على أساس من روح المساواة واحترام الحياة القومية لكل منهما وأنهما يريان أن علاقاتهما تقوم على أساس هذه المعتقدات . وأن السلام والتقدم في الشرق الأوسط عنصران أساسيان لتأكيد السلام العالمي إن سلاما عادلا وقائما على التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ يجب أن يأخذ في الاعتبار المصالح المشروعة لكل شعوب الشرق الأوسط بما في ذلك الشعب الفلسطيني وحق جميع دول المنطقة في الوجود وأن السلام يمكن تحقيقه عن طريق منهج المفاوضات المتصلة تطبيقا لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الصادر في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ وأن الدولتين مصر — والولايات المتحدة الأمريكية — عقدتا العزم على تطوير علاقاتهما الثنائية وحسم صراع دام استمر ثلاثين سنة وقد تضمنت مبادرة السلام هذه النقاط الآتية :

١ — الانسحاب الإسرائيلي من سيناء والجولان والضفة الغربية من غزة .

٢ — ضمان سلامة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة عن طريق ترتيبات يتفق عليها .

٣ — احترام حق جميع الدول في المنطقة في السيادة ووحدة أراضيها .

٤ — تحقيق تسوية عاجلة للمشكلة الفلسطينية بجميع جوانبها على أساس حق تقرير المصير

٥ — إنهاء دعاوى الحرب وإقامة علاقات سليمة عن طريق عقد معاهدات سلام وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

٦ — حل قضية القدس بما يحقق الأمانى القومية العربية .

وأعقب ذلك زيارة مناحم بيجن مع وفد إسرائيلى القاهرة وبدأت مباحثات تمهيدية بين الوفد المصرى والإسرائيلى فى مدينة الاسماعيلية ولكن سرعان ما تعثرت هذه فكان لا مفر أن يقرر الرئيس كارتر ازاء مناورات إسرائيل هذه عقد اجتماع قمه فى كامب ديفيد ولعبت الولايات المتحدة الأمريكية دور الشريك فى المباحثات وتفرغ الرئيس الأمريكى لهذه القضية مدة أسبوعين .

ويرجع اهتمام الولايات المتحدة الأمريكيه بقضية الشرق الأوسط بصفة عامة الى اعتبارات لعل ابرزها ازدياد النفوذ السوفيتى فى ليبيا والعرق وسوريا وتوغله فى افريقيا بدافع من الرغبة فى السيطرة على الموارد الأساسية للاقتصاد الغربى وتفويض دعائم قوته حيث أن هذا من شأنه الإسهام فى تعميق أزمة الرأسمالية وذلك عن طريق السيطرة على الممرات البحرية الأفريقية بالمعنى التاريخى للمواجهة السوفيتية .

ولعل أهمية الممرات البحرية الإفريقية بالنسبة للاتحاد السوفيتى تتضح لنا إذا عرفنا ان ٧٠٪ من المواد الخام الاستراتيجية التى تحتاجها الدول الأوربية أعضاء « التاتو » وأن ٨٠٪ من إمدادات البترول لتلك الدول تصلها من الممرات البحرية الإفريقية فضلا عن أن طريق رأس الرجاء الصالح هو الطريق البحرى الوحيد المتاح الآن للبترول الذى تنقله الناقلات العملاقة التى يصعب مرورها من قناة السويس وعلى هذا يمكننا استخلاص مدى التقديرات التى يعلقها الاتحاد السوفيتى على أهمية الممرات البحرية حول افريقيا من الإشارة إلى الدول التى اختارها لتركيز جهوده فباستثناء أوغندة نجد أن تلك الدول تشمل الصومال قبل خروجها من السيطرة السوفيتية وطرد الخبراء السوفيت — نتزانيا — موزمبيق — أنجولا — غينيا الاستوائية — سيز اليون —

غينيا — بيساو وهذه جميعها تقع على الساحل الشرقى أو الغربى لأفريقيا بل ويمكن القول ان الوجود السوفيتى فى أوغندة يرتبط بالخطة البحرية السوفيتيه باعتبار ما يمثله الرئيس عيدى أمين من تهديد محتمل لكينيا — الدولة الوحيدة على الشاطئ الشرقى لإفريقيا التى ترسو فيها السفن الأمريكية .

وهكذا يمكن القول ان الوجود السوفيتى الكثيف فى أثيوبيا بالإضافة إلى عدن يقوى من مركز الاتحاد السوفيتى فى المحيط الهندى كما يهيء له إحكام سيطرته القوية على مداخل البحر الأحمر وإذا كان جيمى كارتر لايريد أن يورط الولايات المتحدة الأمريكية فى صراع جديد مع الاتحاد السوفيتى فى أفريقيا يخلق (فيتنام) أفريقية جديدة فقد عمد إلى انتهاج سياسة التدخل بصورة حاسمة لتقريب وجهات النظر بين مصر وإسرائيل فكانت مبادرته بدعوة الرئيس محمد أنور السادات ومناحم بيجين لعقد مؤتمر قمة فى كامب ديفيد استغرق المدة من ٥ إلى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧٨ وفى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ تم توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد بعد ثلاثة عشر يوماً من المفاوضات الشاقة والصعبة وكانت سياسة مصر منذ البداية واضحة وصريحة من حيث انها لاتسعى إلى عقد صلح منفرد مع إسرائيل إنما تسعى إلى حل شامل لمشكلة الشرق الأوسط كما كانت تهدف إلى حل المشكلة الفلسطينية بنفس قدر حرصها على تحقيق الانسحاب من سيناء ولهذا السبب ذاته تعثرت مفاوضات كامب ديفيد وواجهت المتاعب والمصاعب ولقد استغرقت المفاوضات حول الضفة الغربية عشرة أيام ونصف يوم بينما لم تستغرق المفاوضات الخاصة بسيناء أكثر من يومين ونصف يوم وفى النهاية تم التوصل إلى اتفاق بشأن تصور إطار كامل لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط وإطار إبرام اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل .

على أن من أبرز النقاط التى تضمنتها الوثيقة الأولى التى أطلق عليها «إطار السلام فى الشرق الأوسط» الاعتراف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين مع اتخاذ ترتيبات أمن تستهدف حماية وتعزيز أمن إسرائيل وفيما يتعلق بالفلسطينيين فان هذه الاتفاقية تقضى بأن يكون لهم الفرصة لتقرير الكيفية التى يرغبون فيها

لحكم أنفسهم من خلال حكم ذاتى وحكومة ذاتية تستمر لفترة انتقالية أقصاها خمس سنوات وبناء على الاتفاقيات المبرمة لن تقام مستوطنات إسرائيلية جديدة فى المنطقة خلال المفاوضات حول إقامة الحكم الذاتى فى كل من الضفة الغربية وقطاع غزة .

هذا علاوة على أن الاتفاقية تتيح لممثلى الفلسطينيين الاشتراك فى المفاوضات الخاصة بالفترة التى ستعقب السنوات الخمس وبالتالى فيما يتعلق بمستقبلهم وسيكون للممثلين الفلسطينيين فرصة متاحة للموافقةعلى الاتفاقية التى تنظم الوضع للقواعد النهائى للمنطقة . وتجرى هذه المفاوضات على على أساس جميع البنود والمبادئ الواردة فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يدعو إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ كذلك تنص الاتفاقية على ترتيبات الأمن وتعاهدات السلام التى يتوقع أن تكون جزءاً من أية تسوية شاملة بين إسرائيل وكل دولة من جيرانها بما فى ذلك إنشاء مناطق منزوعة السلاح ومناطق محدودة التسلح ومناطق إنذار مبكر وتواجد قوات دوليه بينما تنص الوثيقة الثانية التى أطلق عليها الإطار لإبرام اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل على انسحاب إسرائيل من سيناء على مرحلتين :

المرحلة الأولى : انسحاب رئيسى يتم فى فترة تتراوح بين ثلاثة وتسعة شهور بعد توقيع اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية التى يجب أن توقع فى غضون ثلاثة شهور كما أنها تقضى بأن يتم الانسحاب الإسرائيلى الرسمى الأول من جزء كبير من سيناء على أن يتم الانسحاب الإسرائيلى النهائى من سيناء فى فترة تتراوح بين عامين وثلاثة أعوام بعد توقيع معاهدة السلام ويتوج كل هذا إقامة علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل عند تمام الانسحاب فى المرحلة الأولى والذى يمثل الجانب الأكبر من الانسحاب .

وفى أوائل أكتوبر عام ١٩٧٨ بدأت المباحثات التفصيلية بين الجانبين المصرى والإسرائيلى فى « بلير هاوس » بواشنطن من أجل إعداد معاهدة

السلام بين مصر وإسرائيل وحرصت مصر منذ البداية على التأكيد على أن الهدف ليس مجرد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل انما الهدف هو تحقيق السلام الشامل فى المنطقة ومن ثم يجب الربط بين المعاهدة المصرية الإسرائيلية وبين إجراءات الحكم الذاتى فى كل من الضفة الغربية وغزة وإقامة الحكم الذاتى ووضع جدول زمنى لإجراءات إقامته وأن إجراءات السلام لاتعطى إسرائيل امتيازات استثنائية .

وفى ذات الوقت الذى كان يناقش فيه مشروع معاهدة السلام المقترحة والملاحق الخاصة بها كان مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة مطروحا للبحث والمناقشة وتمسكت مصر طوال فترة المباحثات بموقفها المتعلق بالانسحاب من سيناء وإقامة علاقات طبيعية بينها وبين إسرئيل .

وعلى الرغم من موقف مصر الواضح من حيث انها لا تهدف إلى عقد صلح منفرد بل وإنما إقرار السلام العادل والدائم فى منطقة الشرق الأوسط تنفيذا لقرارى مجلس الأمن ووفق نصوص ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة .فقد ثارت ثائرة بعض الدول العربية والتى أطلق عليها اسم دول الرفض تستهجن مسلك مصر هذا وتتهمها بأقصى الاتهامات وتروج الأكاذيب والشائعات المغرضة من حيث إن مصر خرجت على الصف العربى وتتكبت الطريق السوى متجاهلة بموقفها هذا موقف مصر وتضحيات مصر خلال ثلاثين عاما فى الوقت الذى أحجمت دول الرفض هذه عن الاسهام بصورة جدية وفعالة عندما حمى وطيس القتال بين مصر وإسرائيل وإذا كانت دول الرفض هذه قد عمدت إلى عقد مؤتمر قمة فى بغداد أسفر عن إفلاسها إفلاساً تاما ولم تقدم بديلا لمبادرة السلام هذه سوى اتخاذ قرارت جوفاء وشعارات طنانة ولم تستطع تنهض بمسئوليتها القومية والعربية فلم يكن لها من هدف سوى النيل من مصر وسمعة مصر .

ولايسعنا إلا أن نقول لهذه الدول ان الرأى العام العالمى والإسرائيلى قد أضحت الحقائق واضحة أمامها دون تزييف أو خداع وأن الرأى العام العالمى

والإسرائيلى قد أدركا الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وإقرار السلام العادل لا يمكن تحقيقها بصلح منفرد وأن الموقف العربى قد اكتسب تأييداً دولياً ماكان بوسعنا أن نحققه فى عشرات السنين بأى جهد مهما كان خارقا ومن ناحية أخرى فقد اقتنع عدد كبير من المسئولين الإسرائيليين بأن مصر لن تقبل أى تسوية مالم تنص على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى كما أن كثيراً من جماعات الضغط لحساب إسرائيل فى دول أخرى قد تحول إلى قوة ضاغطة لصالح قضية السلام .

فاذا كانت دول الرفض هذه لاترى صدق الموقف المصرى فى التصدى لاستخلاص الحقوق العربية وإذا كانت لاتزال حتى اليوم مصرة على أسلوب وحيد ولاتقدم بديلا عنه فانها بذلك إنما ترتكب خطأ جسيما فى حق الشعب العربى كله وحق أنبل وأقدس قضية عربية وهى قضية فلسطين ومن ثم فسوف يكون التاريخ على هذه الحكومات قاسيا ومؤلماً .

وأن مصر لازالت ولاتزال قلعة للنضال العربى ورائدة للأمه العربية وذلك قدر عليها منذ أقدم العصور .

وإنا لواثقون أن سفينة السلام ستمخر عباب البحر رغم مايصادفها من أعاصير وأنواء متنقلة من مرفأ إلى مرفأ حاملة براً وخيراً وسلاماً لها ولمن حولها بفضل تمرس ربانها وبقدر ماتتحمل وتطيق .